Al-Fikr Al-Siasi Al-Islami
EISSN: 2015-2783
Islamic Sciences and culture Academy
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 4 ● No. 2 ● Issue 8 ● Autumn & Winter 2024

The Qur'an and the Path of Islamic Civilization-Building from the Perspective of the Supreme Leader of Iran

Mostafa Jamali[1]

Date Received: 2024/07/10 Date Accepted: 2024/11/05

Abstract

This article explains and analyzes the concept of the "New Islamic Civilization" within the intellectual framework of the Supreme Leader of Iran, Ayatollah Khamenei, with emphasis on its Qur'anic foundations. The present study seeks to demonstrate that his civilizational theory constitutes a coherent and comprehensive intellectual system in which all components—from theoretical foundations to governing principles and practical strategies—are directly derived from religious texts. The article is structured into three chapters: Chapter One (Foundations) draws upon verses such as the Verse of Khilafah and Tawhid to explain the ontological, historical-philosophical, sociological, and anthropological bases of this worldview. Chapter Two (Principles), focusing on verses such as the Verse of Istikhlaf, alternation of days, conditional divine support, and the strengthening of believers, elaborates the governing laws of this movement, including hope for the future, historic opportunity, the lawfulness of victory, and the centrality of the ummah. Chapter Three

1. Associate Professor, Monir Research Center (Academy of Islamic Sciences of Qom), Qom, Iran.
mo.jamali313@gmail.com

∗ Jamali, M. (2024). The Qur'an and the Path of Islamic Civilization-Building from the Perspective of the Supreme Leader of Iran. *Al-Fikr al-Siyasi al-Islami*, *4*(2), pp. 92-129.
https://doi.org/10.22081/ipt.2026.74025.1046

© The author(s); **Type of article:** Research Article

(Strategies), inspired by verses on steadfastness, explanatory jihad (jihad al-tabyin), unity, and cooperation, outlines the practical roadmap of this journey beginning with enlightening the intellectual elite, continuing with awakening and unifying the ummah, reinforced through disavowal of polytheists and resistance, and ultimately culminating in reforming lifestyle, which serves as the software of civilization. This study employs a documentary research method. The findings show that the "New Islamic Civilization," in the Leader's view, is a strategic and contemporary interpretation of the Qur'an aimed at realizing the fullness of religion in all dimensions of individual and social life.

Keywords
New Islamic Civilization, Thought of the Supreme Leader of Iran, The Qur'an, Civilizational Foundations, Civilizational Principles, Civilizational Strategies.

الفكر السياسي الإسلامي
EISSN: ٢٧٨٣-٢٠١٥
مجلة علمية نصف سنوية
المجلد ٤ ● العدد ٢ ● الرقم المسلسل للعدد ٨ ● الخريف و الشتاء ٢٠٢٤

القرآن ومسار بناء الحضارة الإسلامية من منظور المرشد الأعلى للثورة الإسلامية

مصطفى جمالي [١]

تاريخ الإستلام: ٢٠٢٤/٠٧/١٠ تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١١/٠٥

الملخص

تتناول هذه المقالة شرح وتحليل فكرة «الحضارة الإسلامية الحديثة» في المنظومة الفكرية للمرشد الأعلى للثورة الإسلامية، سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي، مع التركيز على منشأها القرآني. ويسعى هذا البحث إلى إثبات الدعوى القائلة بأنّ نظريته الحضارية تمثّل نظاماً فكرياً متماسكاً وشاملاً، حيث تم استخلاص جميع عناصره، من الأسس النظرية إلى المبادئ الحاكمة والاستراتيجيات العملية، مباشرة من النصوص الدينية. تتكوّن هذه المقالة من ثلاثة فصول رئيسة: الفصل الأول (الأسس): يستند إلى آياتٍ مثل آية الخلافة والتوحيد، ليُبيّن الأسسَ الأنطولوجية (الوجودية) والفلسفة التاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية لهذه الفكرة الحضارية. الفصل الثاني (المبادئ): يرتكز على آياتٍ كآية الاستخلاف، وتداول الأيام، والنصرة المشروطة، وتأييد المؤمنين، ليشرح القوانينَ الحاكمة على هذه الحركة، بما في ذلك: «الأمل بالمستقبل»، «الفرصة التاريخية»، «قانونية النصر»، و«محورية الأمة». الفصل الثالث

١. أستاذ مساعد في مركز منير للأبحاث (أكاديمية العلوم الإسلامية في قم)، قم: إيران.
mo.jamali313@gmail.com

* جمالي ، مصطفى. (٢٠٢٤م). **القرآن ومسار بناء الحضارة الإسلامية من منظور المرشد الأعلى للثورة الإسلامية**. مجلة الفكر السياسي الإسلامي النصف سنوية العلمية، ٤ (٢)، الرقم المسلسل للعدد ٨، صص ٩٢-١٢٩.
https://doi.org/10.22081/ipt.2026.74025.1046

(الاستراتيجيات): يستلهم من آياتٍ مثل الأمر بالاستقامة، وجهاد التبيين، والوحدة والتعاون، فيرسم خريطةَ الطريق العملية لهذا المسار، والتي تبدأ بـ «تنوير النخبة (الخواصّ)»، وتستمر بـ «يقظة الأمة ووحدتها»، وتُضمن من خلال «البراءة من المشركين» و«المقاومة»، وتنتهي أخيراً بـ«إصلاح نمط الحياة» باعتباره الأداة الناعمة للحضارة. أُنجز هذا البحثُ بالاعتماد على منهج البحث الوثائقي. وتُبيّن نتائج البحث أنّ «الحضارة الإسلامية الحديثة» في رؤية سماحة القائد هي تفسير استراتيجي ومعاصر للقرآن الكريم، يهدف إلى تحقيق الدين بصورةٍ كاملة في جميع شؤون الحياة الفردية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية

الحضارة الإسلامية الحديثة، فكر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، القرآن الكريم، أسس الحضارة، مبادئ الحضارة، استراتيجيات الحضارة.

المقدّمة

إنّ فكرة «الحضارة الإسلامية الحديثة» في المنظومة الفكرية للمرشد الأعلى للثورة الإسلامية، سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنه‌ای، ليست مجرّد طموحٍ بعيد المنال أو شعارٍ مثالي، بل هي الهدف النهائي والغاية القصوى لحركة الثورة الإسلامية. هذه الفكرة تفتح أمام الشعب الإيراني والأمة الإسلامية أفقاً مشرقاً، يتشكّل فيه مجتمعٌ قائم على الإيمان والعقلانية والعلم والعدالة. غير أنّ ما يميّز هذه النظرية عن غيرها من المذاهب السياسية والاجتماعية هو أصلها وخارطة طريقها. وفي رؤيته، لا تُعدّ عملية بناء الحضارة مشروعًا إنسانيًا بحتًا، بل هو حركةٌ تُستمدّ أسسها ومبادئها وخطوطها الرئيسة مباشرةً من الوحي الإلهي وسُنّة المعصومين عليهم السلام. هذه الرؤية متجذرة في التحول الأساسي الذي أسّسه الإمام الخميني (رضوان الله عليه)، وهو التحوّل الذي أخرج الدين حصره في القضايا الفردية والعبادية البحتة، ليكشف عن رسالته الحقيقية في الأبعاد الاجتماعية. فقد قال سماحة القائد: «الإمام عرّف للدين رسالةَ بناء النظام وبناء الحضارة وبناء المجتمع وبناء الإنسان وما إلى ذلك؛ فتغيّرت نظرة الناس إلى الدين بشكل كامل» (خامنه‌ای، ١٤/ ٣/ ١٣٩٩). ومن ثمّ، فإنّ بناء الحضارة ليس خياراً، بل هو الرسالة الذاتية والمنطقية للثورة الإسلامية.

تسعى هذه المقالة، من خلال التركيز على الآيات القرآنية والروايات التي استشهد بها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، إلى إظهار أنّ منظومته الفكرية الحضارية تقوم بشكل كامل على هذه النصوص الإلهية، وأنّها في الحقيقة تمثل تفسيراً استراتيجياً وعملياً للقرآن الكريم والسنّة الشريفة في العصر الحاضر. ويسعى هذا البحث إلى إثبات أنّ كل مرحلة من مراحل الحركة في فكر سماحة القائد بدءًا من الأسس النظرية والعقائدية وصولًا إلى الأركان التنفيذية والمتطلبات

العملية، ترتبط مباشرة بآية قرآنية أو رواية شريفة. وبعبارة أخرى، فإنّ هذه المقالة محاولة لإعادة قراءة الفكر الحضاري لسماحة القائد من منظور القرآن نفسه والروايات التي قدّمها سماحته باعتبارها الكلمات المفتاحية لهذه الحركة العظيمة، لتُظهر كيف يبني هذا الفكر نظاماً فكرياً متماسكًا وذاتيًا قائمًا على النصوص المقدسة.

وقد تمّ تكوين بنيةُ المقالة على هذا الأساس نفسه، لتوضيح هذا الارتباط العميق. إذ يتناول الفصل الأول دراسةَ الآيات والروايات التي تشرح الأسس العقائدية والفلسفة الوجودية لهذه الحركة. ويجيب هذا الفصل على هذا السؤال الأساسي: «لماذا ينبغي التوجّه نحو الحضارة الإسلامية؟». في هذا القسم، ومع التركيز على آية الاستخلاف (النور، ٥٥)، يتمّ تناول «فلسفة الأمل» وحتمية هذا الوعد الإلهي. ثم يستند إلى آية النصرة المشروطة (محمد، ٧) وكلام أمير المؤمنين عليه السلام حول «الصدق»، ليُوضّح «فلسفة التكليف» وضرورة العمل المخلص للإنسان في هذا المسار. وأخيراً، تثبت آية تداول الأيام (آل عمران، ١٤٠) الضرورة التاريخية لهذه الحركة في عصر أفول الحضارة المادية الغربية.

يركّز الفصل الثاني على الآيات والأحاديث التي تُعرّف الأركان التنفيذية والعاملين الرئيسيين لبناء هذه الحضارة، ويجيب عن هذا السؤال: «كيف تُبنى هذه الحضارة ومن الذي يبنيها؟». ففي هذا الفصل، ومن خلال تحليل آية تأييد المؤمنين للنبي صلى الله عليه وآله (الأنفال، ٦٢) والاستناد إلى الكلام التاريخي لأمير المؤمنين عليه السلام: «لَو لا حُضورُ الحاضِرِ...»، يتّضح كيف يُقدَّم «الشعب» بوصفه الركنَ الركين والشرطَ اللازم لتحقيق الحكم والحضارة الإسلامية، وأنّ المعادلة القرآنية للنصر تقوم على الارتباط الوثيق الذي لا ينفصم بين «النصرة الإلهية» و«حضور الأمّة». وهذا القسم يكشف في الواقع عن الأساس القرآني والروائي لنظرية « السيادة الشعبية الدينية».

وأخيراً، يتناول الفصل الثالث الآيات التي تُوضّح خريطة الطريق ومضمون هذا المسار، ومتطلّباته العملية، ويجيب عن هذا السؤال: «بأيّ استراتيجية، وبأيّ مضمون، ينبغي أن نسير في هذا الطريق؟». وهذا الفصل بالاستناد إلى الأمر الإلهي: «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» (هود، ١١٢) ، يوضح المبدأ الاستراتيجي «المقاومة والثبات»، ثمّ، بالاستلهام من قوله تعالى: «إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ» (الأنفال، ١٦) يشرح استراتيجية «المرونة البطولية» وضرورة البصيرة التكتيكية. وفي الختام، وبالارتكاز إلى آياتٍ مثل «تعاونوا» (المائدة، ٢) و«واعتصموا» (آل عمران، ١٠٣)، يتّضح أنّ المضمون الرئيس والأداة الناعمة لهذه الحضارة ليس سوى إصلاح «نمط الحياة الإسلامية» وتحقيق القيم القرآنية عملياً في المجتمع. وفي النهاية، سيُظهر هذا البحث أنّ الحضارة الإسلامية الحديثة في فكر سماحة القائد هي مسعىً لتحقيق القرآن بشكل كامل في جميع شؤون الحياة وعلى مستوى حضاري شامل.

١. الأسس القرآنية لبناء الحضارة الإسلامية

إنّ كلَّ حركةٍ تاريخيةٍ عظيمة تحتاج إلى ركيزةٍ فكريةٍ وفلسفية تمنحها المعنى والاتجاه والدافع. وفي رؤية المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، فإنّ فكرة الحضارة الإسلامية الحديثة تقوم على أسسٍ مستمدة مباشرةً من نصّ القرآن الكريم والروايات الشريفة، لتقدّم منظومةً متكاملة من الأسس الأنطولوجية والأنثروبولوجية والفلسفة التاريخية والاجتماعية. يتناول هذا المحور شرح هذه الأسس النظرية ويوضح أنّ التوجّه نحو الحضارة الإسلامية في فكره ليس خياراً عارضاً، بل هو ضرورةٌ منطقية وواجب إيماني ينبع من فهم عميق للقوانين الحاكمة على الوجود والإنسان والتاريخ والمجتمع. وهذه الأسس تحوّل «الأمل» بالمستقبل إلى اعتقاد جازم، و«التكليف» بالحركة إلى واجبٍ شرعي لا محيد عنه.

١-١. السيادة المطلقة للتوحيد في التكوين والتشريع

يُعَدُّ مبدأُ «التّوحيد»، بوصفه الأساسَ الوجوديّ، الركيزةَ الأساسيّةَ ونقطةَ الانطلاقِ في الفكر الحضاري لسماحة المرشد الأعلى للثورة الإسلامية. وفي هذه الرؤية، لا يُعدّ التوحيد مجرد عقيدةً ذهنيةً أو كلاميةً تؤكّد وحدانية الله، بل هو مبدأ وجودي يعني قبول «السيادة المطلقة للربّ» في مجالين: مجال التكوين (عالم الوجود والقوانين الطبيعية)، ومجال التشريع (التقنين والنظام الاجتماعي). وهذا المبدأ هو الذي يُشكّل الرؤية الكونية للحضارة الإسلامية، ويميّزها تمامًا عن الحضارات المادية التي تقوم على سيادة الإنسان أو المادة.

يوضح سماحته هذا المعنى العميق للتوحيد قائلًا: «إنّكم تعلمون أنّ التوحيد لا يعني فقط أن يعتقد الإنسان في ذهنه أنّ الله واحد وليس اثنين؛ نعم، هذا صحيح، ولكنّ التوحيد بمعناه الأهمّ هو السيادة الإلهية؛ أي أنّ التوحيد يعني السيادة المطلقة للربّ على عالم التشريع وعالم التكوين معاً، بحيث يجب أن يُعتبر الأمر الإلهي نافذاً، سواء في عالم التكوين ـ في جميع أحداث الوجود: «لا حولَ ولا قوَّةَ إلّا بالله» ـ أو في عالم التشريع، فكل هذه الأحداث والأحوال ناتجة عن القدرة الواحدة للربّ. وهذا هو الهدف الرئيس» (خامنه‌ای، ١٣٩٩/١٢/٢١). وبناءً على هذا الأساس الوجودي، فإنّ الحضارة التوحيدية هي الحضارة التي تُنظَّم فيها القوانين والعلاقات الاجتماعية ليس بناءً على الأهواء النفسانية والشهوات والغضب والأنانية والاستبداد، بل بناءً على العلم والقوة والرحمة والفيض الإلهي. فالحضارة الإسلامية هي في حقيقتها سعيٌ لمواءمة عالم التشريع (المجتمع الإنساني) مع قوانين عالم التكوين (نظام الخلق) تحت الإرادة الواحدة لله تعالى. ويقول سماحة القائد في هذا السياق: «التوحيد يعني عبودية الله تعالى بشكل حصري ؛ أي ألّا تكون الأهواء والشهوات والغضب والأنانية هي الحاكمة على حياة الإنسان، وألّا تكون الديكتاتوريات والاستبداد والأنانية هي

المديرة لحياة الإنسان؛ بل يكون مصدر إدارة حياة الإنسان هو العلم الإلهي والقدرة الإلهية والرحمة الإلهية والفيض الإلهي والهداية الإلهية؛ هذا هو معنى التوحيد: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ... (الأنعام، ١١٢)، فقد واجه جميعُ الأنبياء أصحابَ الثروة والقوّة، والمستبدّين في العالم...ومن دون مواجهة الحقّ، لا يُرغَم الباطل على التراجع» (خامنه‌ای، ٢٥/ ١/ ١٣٩٧).

إنّ الاستناد إلى هذه الآية الكريمة يُظهر أنّ هذه الأنطولوجيا التوحيدية ـ من منظوره ـ تقتضي بشكل طبيعي وحتمي فلسفة تاريخية قائمة على الكفاح. فبما أنّ هذا المبدأ ينفي سيادة جميع القوى غير الإلهية والطواغيت، فإنّه يواجه بالضرورة عداوة المستكبرين وأصحاب الثروة والقوة. ومن ثمّ، فإنّ الصراع والكفاح جزء لا يتجزأ من الدعوة إلى التوحيد وشرط لا غنى عنه لإقامة الحضارة التوحيدية.

٢-١. أساس فلسفة التاريخ: حتمية انتصار الحق في سياق الصراع المشروط

بناءً على الأساس القرآني للأنطولوجيا التوحيدية، يتشكّل أساس فلسفة التاريخ في فكر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية. فالتاريخ ـ في هذا المنظور ـ ليس ساحةً بلا هدف ولا مجموعةً من الأحداث العشوائية، بل هو عملية موجَّهة وذات معنى، تخضع لقوانين وسنن إلهية ثابتة. ويُظهر تحليلُ أقواله أنّ هذه الفلسفة التاريخية تقوم على ثلاثة أركان أساسية:

أولاً: إنّ بناء الحضارة يتشكّل في سياق الصراع الحتمي بين الحقّ والباطل. فالتاريخ ـ في هذا المنظور ـ هو ساحةُ مواجهةٍ دائمة بين جبهة الحقّ (رمز التوحيد وعبودية الله) وجبهة الباطل (رمز الطاغوت وسيادة غير الله). وهذه المواجهة ليست خياراً إرادياً، بل هي حقيقةٌ تاريخية لا مفرّ منها. فالحضارة التوحيدية لا تُبنى في فراغٍ أو عزلة، بل تولد وتنمو وتثبت وجودها في قلب هذا الصراع. وقد قال سماحة القائد في هذا السياق: «إنّ الله تعالى قد فرض الجهاد على المسلمين،

وهو ليس خاصّاً بالإسلام؛ فالجهاد موجود في جميع الأديان الإلهية. أولئك الذين يعارضون الدعوة هم الذين يعارضون راحة الناس وطمأنينتهم ورفاهية المجتمع، وارتقاءه، وهم أعداء مصالح البشر؛ وهذا هو الموضع الذي يستهدفه الإسلام. فمنذ بداية البعثة، حدّد النبيّ الأكرمﷺ ـ من خلال الآيات التي أوحاها الله إليه ـ نقاطاً واضحة. ففي سورة «اقرأ» المباركة، التي يبدو أنّ آياتها الأولى هي أوّل ما نزل على النبيّ ـ وإن كانت الآياتُ اللاحقةُ قد نزلت بفاصلٍ زمنيّ، إلّا أنّها جميعًا تتعلّق ببداية البعثة ـ يقول الله سبحانه وتعالى: «كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ - نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ - فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ - سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» (العلق، ١٥-١٨) إنّ الذين وقفوا في وجه دعوة الرحمة والعزّة والطمأنينة والأمن، يُهدَّدون في أول سورةٍ من القرآن الكريم» (خامنه‌ای، ١٩/ ٤/ ١٣٨٩).

ثانياً: إنّ النصر النهائي والحتمي في هذا الصراع التاريخي هو لجبهة الحقّ وهذه الحتمية متجذّرة في الإرادة الإلهية والوعد الذي لا يخلف، وهي مصدر الأمل الذي لا ينضب في قلوب المؤمنين. ويقدّم سماحة القائد، بالاستناد إلى الآيات الصريحة في القرآن الكريم أنّ هذه السنّة الإلهية تعدّ قانوناً قطعياً في التاريخ. غير أنّ النقطة الرئيسة في تحليله هي أنّ هذا النصر ليس حتمية تاريخية جبرية، بل هو مشروطٌ تماماً بالعمل والصمود والجهاد والصدق من جانب أهل الحق. وقد قال سماحته: «في هذا الصراع القائم، صراع الحقّ والباطل، صراع التوحيد والطاغوت ـ وهو صراع لا مفرّ منه ـ فإنّ الذي قدّره الله تعالى هو انتصار جبهة الحق: «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» (القصص، ٥)، « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» (التوبة، ٣٣). هكذا قدّر الله تعالى، لكننا نستطيع أن نُغيّر هذه النتيجة؛ كيف؟ إذا قصّرنا، إذا لم نتعاون، إذا لم نتحلّ بالصدق في الحركة التي نقوم بها، إذا لم نبذل من أنفسنا، إذا لم نجاهد في سبيل الله. نعم، إذا لم نفعل هذه

الأمور، فلن تنتصر هذه الجبهة التي يُطلق عليها جبهة الحق، لكنّ الشعب الإيراني أظهر أنّهم ليسوا كذلك» (خامنه‌ای، ١٤/ ١١/ ١٣٩٨). يقدّم هذا التحليل فلسفة تاريخية حيّةً ومسؤولة. فمن جهة، تمنح آيات القرآن جبهةَ الحقّ «الأمل» عبر الوعد بالنصر النهائي. ومن جهة أخرى، فإنّ شرط تحقيق هذا النصر ـ أي الجهاد والمجاهدة ـ يُلقي «التكليف» على عاتق المؤمنين. وهذه الرؤية تحذّر المجتمع الإسلامي من أيّ نزعةٍ قدريّةٍ سلبية، وتحوّل الإنسان إلى الفاعل الرئيس في تحقيق الوعود الإلهية في التاريخ.

ثالثاً: الاستراتيجية الرئيسة وطبيعة هذا الصراع التاريخي هي «الجهاد الكبير»، أي عدم اتّباع جبهة الباطل. إنّ المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، من خلال نظرته العميقة والاستراتيجية إلى القرآن الكريم، يوضّح أنّ الصراع في هذا العصر لا يعني بالضرورة المواجهة العسكرية. فهو يستند إلى الآية الثانية والخمسين من سورة الفرقان، التي نزلت في مكّة قبل الأمر بالجهاد العسكري، ليُحدّد طبيعة هذا الجهاد: «من بين أنواع الجهاد هناك جهادٌ سمّاه الله تعالى في القرآن الجهاد الكبير: « وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» (الفرقان، ٥٢)، هذه الآية نزلت في مكّة، ولم يكن هناك حرب عسكرية... فما هو ذلك العمل الآخر؟ ذلك العمل الآخر هو الصمود والمقاومة وعدم التبعية: «فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» أي لا تُطع المشركين. إنّ عدم طاعة الكفّار هو ما سمّاه الله تعالى الجهاد الكبير» (خامنه‌ای، ٣/ ٣/ ١٣٩٥).

إنّ هذا التفسير يقدّم استراتيجيةً كبرى لبناء الحضارة. فـ «الجهاد الكبير» يعني الامتناع عن التبعية وعدم الانقياد للنماذج السياسية والاقتصادية والثقافية وأنماط الحياة التي تسعى جبهة الباطل (الحضارة المادية الغربية) إلى فرضها. إنّ هذا «الرفض» الكبير يمهّد الطريق للاستقلال الهويّاتي والثقة بالنفس، ويوفر المجال لتقديم النموذج البديل، أي الحضارة الإسلامية الحديثة. تتشكل الحضارة

الإسلامية عندما يمتلك المجتمع الإسلامي الشجاعة والبصيرة لرفض النماذج الباطلة، ويسلك طريقًا جديدًا بناءً على أسسه الخاصة.

وبناءً على ذلك، فإنّ فلسفة التاريخ في فكر سماحة القائد تُشكّل منظومةً ثلاثية الأبعاد: أساسها الصراع الدائم بين الحقّ والباطل؛ ونتيجتها الحتمية هي انتصار جبهة الحقّ المشروط وأمّا استراتيجيتها الرئيسة فهي «الجهاد الكبير»، أي عدم الاتّباع لجبهة الباطل. هذا المنظور يحوّل التاريخ إلى ساحة عملٍ إيمانيٍّ، مفعمٍ بالأمل والمسؤولية، في سبيل تحقيق الحضارة الإسلامية الحديثة.

٣-١. أساس الحضارة الإسلامية على الأخوّة والتعاون والزوجية

بعد الأساس الأنطولوجي وفلسفة التاريخ، يُطرح الأساس الاجتماعي (السوسيولوجي) للحضارة الإسلامية. والسؤال هنا: على أيّ أساس يُبنى المجتمع الذي يريد أن يسير في سياق التاريخ نحو تحقيق الحضارة التوحيدية؟ إنّ تحليل تصريحات سماحة القائد يُظهر أنّ المجتمع الإسلامي يتميّز عن المجتمعات المادية في ثلاثة عناصر أساسية وجوهرية:

أولاً: إنّ أساس العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي يُبنى على محور «الأخوّة والمحبّة والرحمة»، بينما تقوم المجتمعات المادية على «علاقة المعاملة، والتنافس على الدنيا، وأصالة اللذّة»، فالأساس في المجتمع الإسلامي هو رابطةٌ إيمانيةٌ عميقةٌ يُعبّر عنها القرآن بـ«الأخوّة»: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (الحجرات، ١٠). ويقول سماحة القائد: «إنّ المؤمنون بالله والنبي إخوة، أي أنّ كلّ من يؤمن ـ في أي مكان في العالم ـ بالله والنبي والقيامة، ويؤمن بالقرآن والكعبة، فهم إخوة. والشعور بالأخوّة وعدم الشعور بالعداوة تجاه المسلمين هو أول الأمر» (خامنه‌ای، ١٣٦٧/٨/٦). وهذا المبدأ يرتقي بالعلاقات الإنسانية من علاقة جافّة قائمة على الربح والخسارة (المعاملة) إلى علاقةٍ عاطفيةٍ ومسؤولةٍ قائمةٍ على المحبّة والشفقة.

وهذه هي «الرحمة» الإلهية التي تنزل في ظلّ تضامن المؤمنين، وهي حجر الأساس للمجتمع الصانع للحضارة.

ثانياً: إنّ آلية التماسك والحيوية في هذا المجتمع هي علاقة «الولاية»، أي التكافل المتبادل والمساعدة المتبادلة بين المؤمنين. بينما في المجتمعات الفردية، يفكر كل فرد في مصالحه الخاصّة فقط. في المجتمع الإسلامي، المؤمنون «أولياء» ومسؤولون عن بعضهم البعض. وهذه الولاية تحوّل المجتمع إلى كيان واحد وقوي. قال الله تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ...» (التوبة، ٧١)، ففي هذه الآية تُطرح قضية مهمة وهي ترابط المؤمنين مع بعضهم البعض، والتي تُسمى في التعابير القرآنية «الولاية»؛ ولاية المؤمنين بعضهم لبعض. وقد ورد هذا المعنى في في عدّة آيات من القرآن الكريم. وفي هذه الآية يُعرّف نتيجة الولاية والتضامن بأنّها رحمة الله: «أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ» (التوبة، ٧١)، أي؛ إذا كان المسلمون مرتبطين ومتعاونين ومتعاطفين مع بعضهم البعض، فإنّ رحمة الله ستشملهم. فما معنى الولاية؟ إنّها ترابط وتضامن المسلمين مع بعضهم البعض؛ وهذه هي السياسة القرآنية للمسلمين. فسياسة القرآن للمسلمين هي أن تكون الشعوب والجماعات المسلمة متضامنة مع بعضها البعض، وكأنّها وعدٌ بأنّه إذا كانت الشعوب المسلمة متضامنة مع بعضها البعض، فإنّ عزة الله ستكون وراءها؛ أي أنّهم سيتغلّبون على جميع العقبات وينتصرون على جميع الأعداء، وأنّ الحكمة الإلهية ستكون داعمة لهم، أي أنّ جميع قوانين الخلق ستعمل في اتجاه تقدّمهم. هذا هو منطق القرآن وسياسة القرآن. وأمّا النقطة المقابلة لهذه السياسة فهي سياسة أعداء الإسلام، أي المستكبرين والمعتدين في العالم، إذ إنّ سياستهم هي «فرّق تسد»، أي إنّ أساس عملهم هو إثارة الفرقة» (خامنه‌ای، ١٣/ ٧/ ١٤٠٣).

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

إنّ هذا التحليل يقدّم نظريةً سوسيولوجيةً (اجتماعية) قويّة. فالمجتمع الذي يتشكّل على أساس «الولاية» ينسجمُ مع «العزّة» (القوّة الإلهية التي لا تُقهر) و«الحكمة» (القوانين الراسخة للخلق)، ويكتسب مناعةً راسخة في مواجهة سياسات الأعداء المثيرة للفرقة.

ثالثاً: إنّ أساس الحركة والتطوّر الاجتماعي في هذا المجتمع هو «الزوجية والتناسق»، لا «التناقض والصراع الطبقي». ويقدّم المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، بنظرية مبتكرة ومستندة إلى القرآن، نموذج الحركة الاجتماعية في الإسلام في مواجهة الديالكتيك الهيغلي والماركسي. ففي حين تعتبر هذه المدارس الصراع هو محرك التاريخ، يُقدّم القرآن «الزوجية» كقانون عام في الوجود.

إنّ تكوين الأسرة ناتج عن قانونٍ عامّ في عالم الوجود، وهو القانون العامّ للخلق، ذلك القانون هو قانون الزوجيّة: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» (يس، ٣٦). فقد جعل الله تعالى الزوجيّة في كلّ شيء ـ خَلَقَ الاَشياءَ كلَّها ـ ففي الإنسان زوجيّة، وفي الحيوانات زوجيّة، وفي النباتات زوجيّة، «وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ»، هناك أشياء أيضاً فيها زوجيّة لكنّنا لا نعرفها. فمثلاً في الأحجار كيف تكون الزوجيّة؟ نحن لا نعلم، وقد يُكتشف ذلك في المستقبل. وفي الأجرام السماوية هناك زوجيّة، لكن كيف؟ نحن لا نعلم، وسيُكشف في المستقبل. انظروا: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ». وهناك آية أخرى في سورة «الذاريات»: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الذاريات، ٤٩)، فالزوجيّة قانونٌ عامّ.

«أودّ هنا ـ بين القوسين ـ أن أُشير إلى أنّ مبدأ الزوجيّة كما يتجلّى بوضوح في الرؤية الإسلاميّة، يُمثّل على نحوٍ دقيق نقيضَ مبدأ الصراع في الديالكتيك الهيغلي

والماركسي. فالعنصر الأساس في هذا الديالكتيك عند هيغل، والذي أخذه منه ماركس لاحقاً، هو التناقض؛ أي إنّ حركة المجتمع والتاريخ والبشر ناشئة من التناقض، حيث يوجد «أطروحة» و«نقيض الأطروحة»، ومنهما ينشأ «التركيب». أمّا في الإسلام، فليس الأمر كذلك، فالتركيب لا يولد من النقيض، بل يولد من الزوجية؛ من الملاءمة، من التآزر، من التوافق يولد المستوى التالي، يولد الجيل القادم، يولد الحركة القادمة، يولد المرحلة التالية. وبالطبع فإنّ هذه الأمور تحتاج إلى دراسةٍ وبحثٍ معمّق. وما ذكرته هنا إنّما هو نظريةٌ ورؤيةٌ» (الخامنه‌ای، ١٤/ ١٠/ ١٤٠١).

إنّ هذه الرؤية تُؤسِّس المجتمع الإسلامي ليس على أساس الإقصاء والصراع، بل على أساس التآزر والتكامل والتناسق بين مختلف مكوّنات المجتمع (كالمرأة والرجل، والدولة والأمّة، والحوزة والجامعة). وهذه المبادئ الثلاثة ـ الأخوّة، والولاية، والزوجيّة ـ ترسم نموذجاً سوسيولوجياً متماسكاً ومتميّزاً للحضارة الإسلامية الحديثة.

٤-١. الإنسان الصالح خليفةُ الله ومهندس الحضارة ومعمارها

في النهاية، نتلاقى جميع الأسس الأنطولوجية والفلسفية التاريخية والسوسيولوجية، في الأساس الأنثروبولوجي للفكر الحضاري لسماحة المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، وتكشف عن غايتها. فالهدف من هذه الأنطولوجيا التوحيدية، والفلسفة التاريخية القائمة على الصراع، والسوسيولوجيا القائمة على الولاية، هو في نهاية المطاف تربية وتحقيق كائن يُسمّى «الإنسان». ويكشف تحليل تصريحاته عن ثلاثة مبادئ أساسية في هذه الأنثروبولوجيا الحضارية:

أولاً: هوية الإنسان ورسالتُه تُعرَّف بعنوان «خليفة الله»، وشرط تحقيق هذا المقام هو أن يصبح «إنسانًا صالحًا». ففي هذه الرؤية، الإنسان ليس موجوداً تائهاً

في الوجود، بل هو صاحب مقامٍ ومسؤوليةٍ إلهية. وهذه الخلافة هي فلسفة وجود الإنسان ومعيار تقييم الأرض والتاريخ. «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (البقرة، ٣٠). فالخليفة هي لقب منحه الله للإنسان. فأين وُضع هذا الخليفة؟ «فِي الْأَرْضِ». وما قيمة الأرض بدون هذا الخليفة؟ جميع الأنبياء وعباد الله الصالحون كانوا همّهُم إحياء الإنسان الصالح في هذه الأرض، والمحافظة عليه، وتنميته، وتكاثره. وهذا هو هدف الإسلام أيضاً» (خامنه‌ای، ١٠/ ١٠/ ١٣٦٩).

إنّ هذه الرؤية تُحدّد الهدف الغائي لبناء الحضارة، وهو توفير بيئةٍ لنموّ وتكثير «الإنسان الصالح». غير أنّ هذه الخلافة ليست مجرّد مقام محتمل. يوضح المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، من خلال الربط الذكي بين هذه الآية وآية ٥٥ من سورة النور، أنّ تحقيق هذا المقام على أرض الواقع وأخذ السلطة في الأرض هو وعد إلهي قطعي، ولكنه مشروط بعنصرين أساسيين: الإيمان والعمل الصالح.

والوعد الإلهي الآخر هو قوله تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...» (النور، ٥٥). وهذا وعدٌ قطعيّ؛ فكلّ قومٍ أو أمّةٍ أو جماعةٍ تمتلك الإيمان والعمل الصالح ستكون خليفةَ الله في الأرض، أي ستتولّى زمام القدرة فيها، ولا مجال للشكّ في ذلك» (خامنه‌ای، ٤/ ١٠/ ١٣٧٧). وبناءً عليه، فإنّ الحضارة الإسلامية هي عملية اجتماعية وتاريخية لتحقيق خلافة الإنسان الصالح في الأرض عملياً؛ ذلك الإنسان الذي اكتسب أهليّة خلافة الله من خلال الإيمان والعمل الصالح.

ثانياً: إنّ الله قد أودع في هذا الإنسان طاقاتٍ (قدرات) لا متناهية، تمكّنه من بلوغ مراتب النموّ حتى قمم الإنسانية .فهذا الخليفة ليس موجوداً ضعيفاً أو محدوداً، بل يمتلك قابليّةً تجعله يتجاوز الملائكة ويصل إلى ذروة القدرة العلمية والروحية. ومفتاح تفجير هذه الطاقات (القدرات) هو السير في طريق «العبودية». والإنسان في الرؤية الإسلامية هو موجودٌ أُودعت فيه طاقاتٌ

عظيمة. فهذا الإنسان يستطيع أن يتقدّم بلا حدود في مجالات العلم والمعرفة وكشف أسرار وحقائق الخلق؛ وفي السير وفي السير في المراتب الروحية والمراحل النفسية يمكنه أن يبلغ إلى ما لا نهاية؛ بل يمكنه أن يتجاوز الملائكة؛ وأن يصل إلى قمّة القدرة بمختلف أشكالها وأنواعها. فإذا عبد الله وأطاعه، انفتحت أمامه هذه الطرق... حتى العلم والمعرفة أيضاً، يُوضعان مع التوحيد في طريق الإنسان ويتعرف عليهما (خامنه ای، ١٩/ ١٠/ ١٣٦٥).

إنّ هذه الأنثروبولوجيا تُقدّم رؤيةً ساميةً وفي الوقت نفسه واقعيةً للإنسان. فهذه الطاقات العظيمة هي الرأسمال الأساس لبناء الحضارة. والحضارة الإسلامية هي البيئة التي تحقّق هذه القدرات (الطاقات) الكامنة في ظلّ عبودية الله، وتؤدّي إلى التقدم الشامل المادي والروحي

ثالثاً: إنّ هدف الإنسان والوظيفة الأساسية لهذا الإنسان على الأرض هي «الإعمار والبناء والإصلاح»، في تناقض كامل مع مسار الطاغوت الذي يقوم على «الفساد والهدم» فالإنسان الصالح، بوصفه خليفة الله، مكلّفٌ بتحقيق إرادة الله في الأرض، وهي «الصلاح». وهذه المهمّة تضعه بطبيعة الحال في مواجهة الطاغوت الذي تتمثل مهمته الأساسية في الفساد. يقول سماحة القائد: «عندما تسود الجاهلية، وعندما تغلب القوى الشيطانية، حينئذ يظهر الطغيان؛ وهذا هو الطاغوت: «الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» (النساء، ٧٦). هذا هو المعيار. فكلّ خطوةٍ يخطوها أحدٌ لتعزيز الطاغوت تجعله في جبهة الطاغوت. ووظيفة الطاغوت هي الإفساد: «وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ» (البقرة، ٢٠٥)، فالله يريد صلاح البشر، والطاغوت يريد فساد البشر» (خامنه‌ای، ١٦/ ٢/ ١٣٩٥).

إنّ هذه الآيات ترسم بوضوح رسالة الإنسان الصالح العملية وهدف الحضارة الإسلامية. فالحضارة الإسلامية هي حضارة «الإصلاح» و« و«الإعمار»؛

حضارةٌ تقف في مواجهة تيّار التدمير لـ «الحرث والنسل» ـ أي البيئة والأجيال القادمة ـ الذي تسعى إليه الطواغيت. وبناءً عليه، فإنّ الأنثروبولوجيا الإسلامية الصانعة للحضارة تقدّم صورة الإنسان الذي هويّته هي الخلافة الإلهية، وقدراته لا متناهية، ورسالتُه هي الإصلاح والإعمار على الأرض في سبيل تحقيق إرادة الله.

٢. المبادئ الحاكمة في بناء الحضارة الإسلامية

بعد أن تمّ في الفصل الأوّل توضيح الأسس النظرية والركائز الفلسفية للفكر الحضاري لدى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، حان الآن دور دراسة «المبادئ» الحاكمة على هذه الحركة العظيمة. فإذا كانت الأسس تجيب عن سؤال «لماذا؟» وتوضّح فلسفة وجود هذه الحركة، فإنّ المبادئ، بصفتها قوانين أساسية وقواعد لا تُخالف، تنظّم «كيفية» هذه الحركة. وهذه المبادئ، المستخرجة مباشرةً من نصّ القرآن والسنّة، ترسم مساراً منطقياً من الدافع والرؤية، إلى قانونية المسار، ثم إلى تعريف العاملين، وأخيرًا إلى طبيعة الهدف النهائي. يتناول هذا الفصل تحليلًا دقيقًا لهذه المبادئ السبعة لإظهار أنّ الحركة نحو الحضارة الإسلامية الحديثة ليس حركةً عاطفية، بل هو عمليةٌ قانونيةٌ قائمةٌ على السنن الإلهية

١-٢. مبدأ «الوعد الإلهي الذي لا يُخلف»؛ محرّك الأمل

إنّ كلّ حركةٍ طويلة الأمد وصانعةٍ للتاريخ تحتاج إلى قوّة دافعة أوليّة، قوّةٍ تمنعها من التوقّف في مواجهة الصعوبات والتقلبات. وهذه القوّة هي «الأمل» بالمستقبل واليقين بتحقّق الهدف. وفي فكر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، هذا الأمل ليس مجرد تفاؤل نفسي، بل هو مبدأ استراتيجي وإيمان قطعيّ نابعٌ من

الإيمان العميق بالوعد الإلهي الذي لا يتخلّف في القرآن الكريم. ويجيب هذا المبدأ عن السؤال الأساسي: لماذا يجب أن نتحرك؟ والإجابة هي وجود وعد إلهي قطعي يمحو كل أشكال اليأس.

«إنّي أقول بثقة كاملة: هذا هو بداية العمل فقط، وتحقيق الوعد الإلهي الكامل، أي انتصار الحق على الباطل وإعادة بناء أمة القرآن والحضارة الإسلامية الحديثة، قادم لا محالة: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (النور، ٥٥) وإنّ علامة هذا الوعد الذي لا يُخلف في المرحلة الأولى والأهم كانت انتصار الثورة الإسلامية في إيران وبناء النظام الإسلامي العظيم الذي حوّل إيران إلى قاعدة قوية لفكر السيادة والحضارة الإسلامية» (خامنه‌ای، ١٣٨٧/٩/١٧). فالأمل هو المحرّك الذي يدفع الأمّة، رغم كلّ الضغوط، نحو المستقبل المشرق.

٢-٢. مبدأ «تداول الأيّام»؛ الضرورة التاريخيّة لبناء الحضارة في عصر أفول الغرب

بعد أن توافر الأمل في تحقيق الهدف، يطرح السؤال التالي: لماذا الآن؟ فالحركة نحو الحضارة الإسلامية الحديثة، بالإضافة إلى كونها واجبًا إيمانيًا، تُعَدّ ضرورةً وفرصةً تاريخيّة أيضاً. ويشرح المرشد الأعلى للثورة الإسلامية هذا المبدأ في إطار السنّة الإلهية لتقلّب الحضارات ومراتب صعودها وهبوطها. وهذه النظرة تمنح حركة الأمة الإسلامية الحضارية ضرورة واستعجالًا زمنيًا، وتُحدّد لها الأرضيّة والسياق التاريخي المناسب.

إنّ هذه الحضارة التي عرضوها على العالم قدّمت تجلّيات جميلة من التقنية

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

والسرعة والسهولة وأدوات الحياة، لكنها لم توفر للإنسانية السعادة ولم تُقم لهم العدالة، بل على العكس؛ طعنت العدالة في رأسها، وضربت أغلال الأسر على الشعوب، وأفقرت الشعوب وأهانتهم، وراحت تعاني في داخلها أيضاً من التضاد والتعارض، ففسدت من الناحية الأخلاقية، وصارت خاوية عبثية من الناحية الروحية. والغربيون أنفسهم يشهدون اليوم بذلك. قال لي سياسي غربي بارز إن عالمنا عالم عبثي فارغ، وهذا ما نشعر به. كان على حق فهذه الحضارة الظاهرية المليئة بالبهرجة والبريق لها باطن خطير على البشرية. تعارضات وتناقضات الحضارة الغربية راحت تفصح عن نفسها اليوم، في أمريكا بشكل، وفي أوربا بشكل، وفي المناطق الخاضعة لهيمنتهم في كل أرجاء العالم بشكل. وقد حان الدور لنا اليوم، لقد حان الدور للإسلام اليوم. «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» (آل عمران، ١٤٠). الدور اليوم هو للمسلمين كي يرسوا بهممهم أسس الحضارة الإسلامية الحديثة. كما استفاد الأوربيون في ذلك الزمن من علوم المسلمين وتجاربهم وفلسفتهم، نستفيد نحن أيضاً اليوم من علوم العالم والأدوات الموجودة في العالم لإقامة الحضارة الإسلامية، ولكن بروح إسلامية وبروح معنوية. هذا هو واجبنا اليوم» (خامنه‌ای، ٨/ ١٠/ ١٣٩٤). وفي مثل هذه الظروف، حيث يقف العالم على منعطفٍ تاريخيٍّ كبير، فإنّ سنّة «تداول الأيّام» تبشّر المسلمين بأنّه مع أفول الحضارة المادّية الحديثة، قد حان دورهم من جديد لبناء الحضارة.

٣-٢ .مبدأ «سُنّةِ النصرِ المشروط»؛ قانونيّةُ النصر

بعد أن تبيّن أنّ الهدف محتّمٌ (المبدأ الأوّل) وأنّ وقته قد حان (المبدأ ٢)، يبرز السؤال: ما هو قانون النصر وكيف يتحقّق؟ في فكر سماحة القائد، إنّ تحقّيق وعد الله ليس أمراً جبريّاً، بل هو عمليّةٌ قانونيّةٌ ونتيجةُ علاقةٍ متبادلةٍ بين الإرادة الإلهيّة وعمل الإنسان. وهذا المبدأ يحوّل الحركة من مجرّد أمنيةٍ إلى برنامجٍ قائمٍ على

العمل. وأهمّ سنّةٍ إلهيّةٍ في هذا المجال هي «سنّة النصر المشروط ». قال سماحته: «ثمّ هناك الوعد الذي لا يتخلّف من الله / وعد الله الذي لا يُخلف: «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ» (محمد، ٧) «وَمَن اَصدَقُ مِنَ اللهِ قيلًا؟» (النساء، ١٢٢) ومن أصدق وعداً من الله؟ يقول الله تعالى: «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ» أي تقدّمتم نحو الحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامي وتحقيق دين الله، فإن الله سينصركم؛ هذه هي نقطة الأمل» (خامنه‌ای، ١٣٩٨/٣/١). وبذلك، فإنّ هذا المبدأ يحذر المجتمع الإسلامي من أي ركود أو قدرية سلبية.

٤-٢. الولاية والرعاية

المبدأ المهم التالي في بناء الحضارة وتنظيم المجتمع هو الاهتمام بمبدأ الولاية. «فالولاية، التي هي عنوان الحكم في الإسلام وعلامة النظام الاجتماعي والسياسي فيه، تحمل معنى دقيقاً وعميقاً، ومعناها الأساس هو الارتباط، والربط، والتشابك، والتداخل. هذا هو معنى الولاية. فهي تُذكّر الإنسان بمفهوم الوحدة، والتعاون، والتآزر، والسير معاً، والوحدة في الهدف، والوحدة في الطريق، والوحدة في كل الجوانب السياسية والاجتماعية. الولاية تعني الترابط قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا» (الأنفال، ٧٢)، أي؛ إنّ ترابط أفراد المجتمع الإسلامي يتحقّق بالهجرة، وليس بالإيمان وحده؛ فالإيمان وحده لا يكفي. «الترابط الولائي الذي يعدّ ظاهرة سياسية واجتماعية وموقفًا مصيريًا في الحياة، يتحقق بالجهد والحركة والهجرة والعمل المشترك والموقف الموحّد .ولهذا لا يكون الولي في النظام الإسلامي بمعزل عن الأمة. فالولاية تعني التلاحم والانسجام والترابط، كما تعني في أحد أبعادها المحبة، وتعني في موضع آخر التآزر والتعاون. وهذه المعاني كلها تمثّل في الواقع مصاديق للارتباط والتضامن والاتحاد والوحدة؛ أمّا المعنى

الحقيقي فهو الاتحاد والتلاحم .هذا هو معنى الولاية». (خامنه‌ای، ۲۷/ ۱/ ۱۳۷۷). كما أنّ سماحة المرشد الأعلى للثورة الإسلامية قد أوضح سابقًا المشروع العام للفكر الإسلامي بالاستناد إلى قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» (المائدة، ٥٥)، وبيّن تأثير الولاية في ثلاثة أبعاد: ١. حفظ التماسك الداخلي ٢. قطع السبيل أمام التدخل الخارجي ٣. حفظ الارتباط الدائم والعميق مع قلب الأمّة الإسلامية، أي الإمام والقائد (خامنه ای، ۱۳۹۲ش، صص ۵۰۰-۵۳۸).

۵-۲. حضور الأمّة

بعد معرفة قانون الحركة (سنّة النصر الإلهي) ومكانة الولاية في رعاية الأمّة ومساعدتها،، يبرز السؤال الأساسي: من هو الفاعل والمنفّذ لِـ «نصرة الله»؟ في فكر سماحة القائد إنّ «الشعب» و«الأمّة الإسلامية» الركيزة الأساسية والفاعل الرئيس في تحقيق الحضارة. قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة صفّين، وهي عبارة بالغة الأهميّة: «وَلَيْسَ أَمْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ» (الخطبة ٢١٦). أي إنّه مهما بلغت قيمة الإنسان الذاتيّة والعلميّة والدينيّة، فلا أحد يستغني عن مساعدة الناس. فقوله: «أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ» يعني أنّه إذا أراد أن يؤدّي واجبه ومسؤوليته، فهو بحاجةٍ إلى مساعدة الناس. وهذه «المساعدة» تأتي من الناس؛ أي أنّ الخطبة بأكملها توضّح ذلك؛ والعبارة التي تسبق هذه العبارة والعبارة التي تليها توضح أنّ المقصود هو مساعدة الناس؛ أي أنّ أمير المؤمنين بحاجة إلى مساعدة الناس. عندما نتحدث عن «الناس»، نقصد جميع الناس، سواء كانوا ذوي مكانة اجتماعية - مثل العلماء، ورجال الدين، والسياسيين - أو عامة الناس؛ الجميع بحاجة إلى المساعدة. ولذلك فإنّ الله تعالى يقول لنبيّه: «هُوَ الَّذِي

أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ» (الأنفال، ٦٢). وهذا أمرٌ بالغ الأهميّة؛ إذ إنّ الله سبحانه يضع المؤمنين في صف نصره، أيْ لو أنّ المؤمنين لم يعينوا النبيﷺ، ما انتصر. ولهذا، كان أول فعلٍ قام به النبي هو بناء المؤمنين، أي صناعة الإنسان المؤمن. فبناء المؤمن هو الأساس. «بناء عليه يظهر بوضوح أنّه لا يمكن تحقيق الأهداف الإسلاميّة ـ سواء سمّيناها «النظام الإسلامي» أو في النهاية «الحضارة الإسلامية» ـ إلّا من خلال مشاركة الناس واهتمامهم ومبادرتهم .يجب أن يقرّر الناس ويحضروا ويبادروا. إذاً، صار هذا مبدأً بالنسبة إلينا» (خامنه‌ای، ٢٦/ ١٠/ ١٤٠٢). هذا المبدأ هو نتيجة مباشرة والتجلّي العملي للمبدأين السابقين في مجال الحكم. إذا كانت نصرة المؤمنين تعادل النصرة الإلهية، ويجب على الولي أن يكرّس نفسه لهداية الأمّة، فإنّ النتيجة المنطقية هي أنّ واجب الحاكم الصالح يتوقف على حضور هؤلاء المؤمنين ونصرتهم. وهذا المبدأ يشكل أساس نظرية "السيادة الشعبية الدينية." وقد قال سماحته في شرح دور الناس: «أي إنّه إذا لم يأتِ الناس إلى ذلك الذي يرى نفسه صاحب الحقّ... فلا يجب عليه أن يسعى وراء ذلك الحقّ... حتى شخصٌ مثل أمير المؤمنين... إذا لم يكن الناس معه... يقول: «ليس عليّ واجب» أمّا إذا جاء الناس، حينئذٍ يجب عليه أن يتحمّل المسؤوليّة» (خامنه‌ای، ٢٦/ ١٠/ ١٤٠٢).

٦-٢. «الإسلام الحضاري»؛ امتزاج الدين بالحياة

في النهاية، وبعد توضيح «السبب» و«الزمن» و«الكيفيّة» و«العاملين» في الحركة الحضاريّة، يبرز السؤال الأخير: ما هو الهدف النهائي ومضمون هذه الحضارة؟ إنّ مبدأ «شمولية الإسلام» هو الذي يجيب عن هذا السؤال. ففي فكر سماحة المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، لا يمكن للإسلام الذي يُراد له أن يكون صانعًا للحضارة أن يُحصر في المجال الفردي أو العبادي فقط؛ بل إن هذا

الإسلام يحمل رسالة اجتماعية ـ حضارية، وهدفه تحقيق حضارة قائمة على السيادة الشاملة للدين.

وقد اعتبر سماحته هذا الطموح متجذّراً في هدف بعثة الأنبياء، مستنداً إلى آيات القرآن الكريم: «من المبادئ والمُثُل إيجادُ المجتمع الإسلامي وبناء الحضارة الإسلامية؛ أي إحياء الفكر السياسي للإسلام، فإنّ الإسلام لم يأتِ «إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» (النساء، ٦٤). ولا يختصّ هذا الأمر بالإسلام، بل يشمل جميع الأديان الإلهية التي جاءت من أجل أن تُطبَّق في المجتمع وتتجسّد على أرض الواقع، وهذا ما يجب أن يتحقّق. هذا أحد أهم الأهداف السامية (خامنه‌ای، ٢٠/ ٠٤/ ١٣٩٤).

إنّ الاستناد إلى المفهوم القرآني: «يُطاعَ بِإذنِ الله» يكشف أنّ فلسفة بعثة الأنبياء لا تقتصر على مجرّد تبليغ الرسالة، بل تهدف إلى إقامة نظام اجتماعي متكامل قائم على تلك الرسالة. وهذا المبدأ، بوصفه خاتمةً جامعة، يرسم صورةً كاملةً للمقصد النهائي: مجتمعٌ تتحقّق فيه «امتزاج الدين بالحياة» بشكل كامل، وتكتسب فيه جميع شؤون الحياة صبغةً إلهيّة.

وفي المنظومة الفكريّة لسماحة المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، كان الإمام الخميني (رضوان الله عليه) مُحيي هذا الفكر في العصر الحاضر؛ إذ «عرّف للدين رسالةَ بناء النظام، وبناء الحضارة، وبناء المجتمع، وبناء الإنسان، وما شابه ذلك؛ فتحوّلت نظرة الناس إلى الدين بشكل كامل» (خامنه‌ای، ١٤/ ٣/ ١٣٩٩). وهذا الركن يحدّد في الواقع مضمون حركة المجتمع؛ فالمجتمع الذي يتشكّل على أساس «ارتباط الأمّة بالولاية» ينبغي يتّجه نحو التحقيق الشامل للأحكام والقيم الإلهية. وفي هذا السياق، ومع الإشارة إلى الآيات القرآنية المتعلّقة بالجهاد، يؤكد سماحته أنّ «بعثة الأنبياء كانت من أجل إنشاء مجتمعٍ فاضل؛ كما أُشير، من أجل إنشاء حضارة. وهذه الحضارة تشمل كلّ شيء؛ ففي الحضارة يوجد العلم، ويوجد الأخلاق، ويوجد نمط الحياة، ويوجد القتال أيضاً» (خامنه‌ای، ١٤/ ١/ ١٣٩٨).

وبناءً عليه، فإنّ «الإسلام الحضاري» في فكر سماحة القائد يعني السعي لتحقيق الدين بصورةٍ كاملةٍ في المجتمع؛ وهو طموحٌ مستمدّ مباشرةً من هدف بعثة الأنبياء في القرآن الكريم، ويُحدّد الاتجاه الرئيس للحركة نحو الحضارة الإسلامية الحديثة. وهذه الحضارة هي الحضارة التي يتحقّق فيها «امتزاج الدين بالحياة» بشكل كامل (خامنه‌ای، ۲۲/ ۵/ ۱۳۹۱).

٣. الاستراتيجيات

الأسس العقائدية والمبادئ الحاكمة على الحركة، يتطلب اجتياز المسار الطويل والمليء بالتحدّيات نحو بناء الحضارة «استراتيجيات» والتزاماتٍ عمليّةٍ محدّدة. فإذا كان القسم الأوّل من المقالة يجيب عن سؤال «لماذا ينبغي أن نبني الحضارة؟»، وكان القسم الثاني يجيب عن سؤال « ما هي المبادئ التي تحكم هذه الحركة؟»، فإنّ هذا القسم يتناول السؤال الجوهري: «كيف ينبغي أن نسلك هذا المسار؟». فالاستراتيجيات تُشكّل أساس خريطة الطريق العمليّة، والأساليب الكلّية لمواجهة العقبات وتحقيق الأهداف .

إنّ فكر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في هذا المجال يرتكز بعمقٍ على آيات القرآن وسيرة المعصومين عليهم السلام. فهذا المحور يتناول الآيات التي تُوضّح الاستراتيجيات الكبرى لهذه الحركة. وتشكّل هذه الاستراتيجيات منظومةً شاملةً تهتمّ في آنٍ واحد بالمتطلّبات المعرفيّة والإدراكية (جهاد التبيين / الجهاد في التبيين واليقظة)، والمتطلّبات الاجتماعيّة والسياسيّة (الوحدة والبراءة)، والمتطلّبات العمليّة والميدانيّة (المقاومة) والمتطلّبات الثقافيّة (إصلاح نمط الحياة). وتُظهر هذه الاستراتيجيات أنّ بناء الحضارة في رؤية سماحة القائد ليس حركةً عاطفيّة وعفوية (أو عشوائية)، بل هو جهادٌ شاملٌ، بصيرٌ وعميق، يقدِّم دليلًا من الكتاب والسنة لكل خطوة يخطوها.

١-٣. «جهاد التبيين»؛ حجر الأساس للتنوير ومواجهة الحرب المعرفيّة

إنّ كلّ حركة اجتماعيّة عظيمة هي ـ قبل أيّ شيء ـ حركةٌ معرفيّة. فطالما لم تُقنَع العقول والقلوب، فلن تتشكّل أيّ إرادةٍ للعمل. وفي العصر الحاضر، حيث إنّ الميدان الرئيس للمعركة هو «حرب الروايات» والحرب المعرفيّة، فإنّ أوّل وأهمّ استراتيجية لدفع الأهداف الحضاريّة هي «جهاد التبيين» وفهم الخريطة الحضاريّة الشاملة للثورة الإسلاميّة. وهذه الاستراتيجية هي الترياق لمواجهة الحرب الناعمة التي يشنّها العدوّ، وهي الشرط المسبق لكلّ حركةٍ أخرى. وقد وضع المرشد الأعلى للثورة الإسلامية هذه المهمّة الحيويّة على عاتق «الخواص» في المجتمع، أي النخب الفكريّة والثقافيّة.

وقد عرّف سماحته «الخواص والنخب» بأنّهم أولئك الذين «يعملون بالفكر والمعرفة والتمييز، ولا يتبعون الجو العام»، ويحدد مهمتهم الرئيسية على النحو التالي: «وظيفة الخواص هي أنّه يجب أن يبطلوا الشكوك التي يثيرها العدو، وأن يوضحوا القضايا؛ «جهاد التبيين» الذي ذكرته، يشير إلى هذا." (خامنه ای، ١٦/ ١١/ ١٤٠٢).

لتوضيح نموذج هذا الجهاد في التبيين، يستشهد سماحته بمثال بارز في القرآن الكريم: قصّة «الرجل المؤمن» في سورة يس، ذلك الرجل الذي، في خضمّ غفلة قومه ومؤامراتهم، يتقدّم إلى الساحة دفاعاً عن رسل الله. قال تعالى: «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ... إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ» (يس، ٢٠) ويُعلّق سماحته على هذه الآية قائلاً: «إنّه يعلن إيمانه بصوتٍ عالٍ وبصراحة تامّة. وعلى الخواص أن يكونوا صريحين، وأن يتحدّثوا بوضوح، وأن يزيلوا الشبهات من الأذهان، وألاّ يتكلّموا بعبارات مزدوجة أو ملتبسة أو مترددّة... فهذا هو النموذج العملي لما يمكن للخواص أن يقوموا به» (خامنه‌ای، ١٦/ ١١/ ١٤٠٢).

إنّ هذا الاستناد القرآني يُحدّد خصائص استراتيجية «جهاد التبيين» وهي: المبادرة في الوقت المناسب (يسعى)، الشجاعة والصراحة في إعلان الموقف (إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) والاعتماد على المنطق والاستدلال الواضح (اِتَّبِعوا مَن لا يَسئَلُكم اَجراً). ومن ثمّ فإنّ «جهاد التبيين» يُعدّ الخطوة الأولى والأساس في مسار بناء الحضارة.

٢-٣. اليقظة الإسلامية

لا يصل جهاد التبيين إلى النتيجة المطلوبة إلّا إذا تحوّل إلى تيّارٍ عامٍّ و«يقظة» شاملة في جسد الأمّة الإسلامية. فاستراتيجية «اليقظة الإسلامية» تهدف في الواقع إلى تعميق المعرفة والبصيرة العامّة في العالم الإسلامي، وأصلها ومنشأها الرئيس هو الأنس بالقرآن الكريم. وهذه الاستراتيجية تُوفّر الأرضيّة المعرفيّة الضروريّة للحركة الحضاريّة على مستوى جماهير الشعب وعموم الناس.

يقدّم سماحة المرشد الأعلى للثورة الإسلامية القرآن ككتاب النور والهداية، وبالاستناد إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام بأنّ مجالسة القرآن «تزيد في الهداية وتنقص من العمى»، يبيّن نتيجة هذه المجالسة على النحو التالي: «إذا حدث هذا، فإنّ المجتمع الإسلامي سيجد طريقه: « اَللّهُ وَلىُّ الَّذينَ ءامَنُوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ اِلَى النُّور» يخرج الإنسان من ظلمات الخرافات، ومن ظلمات الضلال، ومن ظلمة الخوف، ومن ظلمات الأوهام، ﴿إِلَى النُّورِ﴾... ونحن في أمسّ الحاجة إلى هذا (خامنه‌ای، ٨/ ٤/ ١٣٩٣). وهذا «الخروج من الظلمات إلى النور» هو عين حقيقة «اليقظة الإسلامية»، أي الوعي والبصيرة الجماعيّة التي تُخرج الأمّة من حالة الغفلة والانفعال، وتُذكّرها بواجباتها التاريخيّة. إنّ الأعداء يخافون من هذه اليقظة، بل ومن اسمها، لأنّها تحوّل الإسلام من دينٍ فرديٍّ غير خطير إلى مدرسةٍ عمليّةٍ، حيّةٍ وبنّاءةٍ للحضارة (خامنه‌ای، ٨/ ٤/ ١٣٩٣). وقال سماحته: «هؤلاء

لا يخافون من الإسلام الخاضع للدولار، ولا من الإسلام الغارق في الفساد والأرستقراطيّة... لكنّهم يخافون من إسلام العمل، إسلام المبادرة، إسلام جماهير الناس، إسلام التوكّل على الله، إسلام حسن الظنّ بوعده الذي قال: «وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُه» (خامنه‌ای، ۲۱/ ۹/ ۱۳۹۱).

وبناءً عليه، فإنّ استراتيجية «اليقظة الإسلامية» هي استراتيجيةٌ ثقافيّةٌ ومعرفيّةٌ بعيدة المدى، تتمحور حول القرآن الكريم، وتهدف إلى رفع مستوى الوعي والبصيرة لدى الأمّة الإسلامية لكي تتمكّن من تحويل التحدّيات إلى فرص، وتؤدّي دورها التاريخي في مسار تحقيق الحضارة الإسلامية الحديثة

٣-٣. الوحدة الإسلامية

إنّ أمّةً يقِظةً ولكن متفرّقةً ومشتّتة، تفتقر إلى القدرة اللازمة للقيام بالحركات الحضاريّة الكبرى. ولذلك، فإنّ الاستراتيجية الحيويّة التالية بعد تحقيق اليقظة العامّة هي تحقيق «الوحدة الإسلامية». فهذه الاستراتيجية تسعى إلى تحويل الأمّة اليقِظة إلى «يدٍ واحدة» وقوّة متماسكة في مواجهة الأعداء المشتركين. ويرى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية أنّ الوحدة ليست تكتيكاً مؤقتًا، بل هي مصلحةٌ إلزاميّة وأمرٌ إلهيّ

اليوم، كما في كل حين وأكثر من أي وقت مضى، تكمن المصلحة الإلزامية للأمّة الإسلامية في الوحدة؛ وحدة تُشكّل يدًا واحدة في مواجهة التهديدات والأعداء... هذا هو معنى الأمر الإلهي: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران، ۱۰۳) (خامنه‌ای، ۷/ ۵/ ۱۳۹۹). وقد استند سماحته إلى منظومةٍ من الآيات القرآنيّة لتوضيح أبعاد هذه الوحدة. فهي وحدةٌ ذات وجهين: فمن جهةٍ تقوم على الرحمة والمودّة الداخليّة (رُحَمَاءُ بَيْنَهُم)، ومن جهة أخرى تتضمّن الشدّة والحزم في مواجهة الأعداء الخارجيّين (أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ). وتسعى هذه الاستراتيجية،

بالاعتماد على المشتركات الإسلاميّة وتجاوز الخلافات الجزئيّة،إلى تفعيل القوّة الناعمة والصلبة للأمّة الإسلامية في الساحة العالميّة، وتُمهّد الأرضيّة لدورها الحضاريّ الفاعل (خامنه‌ای، ۷/ ۵/ ۱۳۹۹).

٤-٣. البراءة من المشركين ورسم الحدود الهويّاتيّة مع جبهة الباطل

إنّ الوحدة الإسلامية، وبالتالي بناء الحضارة الإسلامية، لا تكون ذات معنى وفاعليّة إلّا إذا امتلكت حدوداً هويّاتيّةً واضحةً ومحدّدةً إزاء الحضارات البشريّة الأخرى. فالأمّة الموحّدة يجب أن تدرك ضدّ من، وضدّ أيّ جبهةٍ تتوحّد. واستراتيجية «البراءة من المشركين» ترسم هذه الحدود العقائديّة والسياسيّة والثقافيّة مع جبهة الاستكبار والطاغوت، وتمنح الوحدة الإسلامية اتّجاهاً وهويّةً واضحة. من وجهة نظر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، «إنّ قضية الحج هي قضية عالميّة، قضية دوليّة، قضية حضاريّة في المعارف الإسلامية. يجب أن ننظر إلى الحج بهذه النظرة» (خامنه‌ای، ۲۷/ ۲/ ۱٤۰۲). وعلى هذا الأساس، فإنّ «البراءة من المشركين» التي تُعدّ من الركائز الأساسية للحج، تُعتبر تجلياً لوحدة الأمة. فقد قال سماحته: «هنا [الحج] المعسكر الكبير للأمة الإسلامية حيث يتمرن الأفراد على أنهم يكونوا مع الله ومع الناس وحيث يكسرون اغلال "الأنا" الكاذبة المشركة، ويرتبطون بالذات الحقيقية والإلهية. هنا منطلق البراءة من جنود الشيطان والالتحاق بجنود الرحمن ومقر تجديد العهد مع : «أَلَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ» (يس، ٦٠)، والاستجابة لـ «إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» (التوبة، ٣). هنا ساحة تجلي الأمة الإسلامية الواحدة ومظهر العزة والمعنوية والقدرة البشرية لجموع المسلمين» (خامنه‌ای، ۳۰/ ۱۱/ ۱۳۸۰). وهنا المكان الذي رفع فيه سيدنا محمد المصطفىﷺ رآية التوحيد أمام المستكبرين وأصحاب المال والسلطة من أهل زمانه؛ واعتبر البراءة من الطاغوت ـ بجانب الإيمان بالله ـ شرطاً للنجاة والفلاح:

«فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ» (البقرة، ٢٥٦). إنّ الحجّ هو إعادة قراءة هذه الدروس العظيمة وتعلّمها. إنّ البراءة من المشركين ومن الأصنام وصنّاعها، تشكّل الروح المسيطر على حج المؤمنين. إنّ الحج بكلّ مواقفه ومواقعه، يجسّد حقيقة الخضوع لله والعمل في سبيله، والبراءة من الشيطان ورميه ورفضه والتصدي له. كما أنّ الحج بكلّ تفاصيله، يشكّل رمز الوحدة والتلاحم بين أهل القبلة، وانتفاء فوارقهم الطبيعية والاعتبارية، وتبلور وحدتهم الحقيقية وأخوتهم الإيمانية. إنها دروس، علينا ـ معشر المسلمين في كل أرجاء العالم ـ أن نتعلمها ونبرمج حياتنا ومستقبلنا على أساسها (خامنه‌ای، ١٣٨٦/٩/٢٧).

٥-٣. مقاومة (صمود) الأمّة

إنّ مسار تحقيق الحضارة الإسلامية ليس طريقاً سهلاً ولا خالياً من العقبات؛ فالعَداء، والضغوط، والعقوبات، والحرب النفسيّة هي جزءٌ لا يتجزأ من هذا الطريق. وفي مثل هذه الظروف، فإنّ الاستراتيجية الأساسيّة لمواصلة المسيرة هي «الصمود». وقد استخلص المرشد الأعلى هذا المبدأ مباشرة من القرآن الكريم ومن الأمر الصريح لله تعالى إلى نبيّه الأكرمﷺ، وعرّفه بوصفه واجباً جماعيّاً في عصر بناء المجتمع والحضارة الإسلامية. قال سماحته: «في موضعين من القرآن ورد الأمر بـ «استَقِم» (هود، ١١٢، الشورى، ١٥). والاستقامة تعني الثبات في هذا الطريق وعدم التأثّر بالعوامل المختلفة. فطريق الله، طريق السعي في سبيل الله، طريق إقامة الحقّ والعدل، طريق الوصول إلى الحضارة الإسلامية والنظام الإسلامي الحقيقي والمجتمع الإسلامي، هو طريقٌ صعب؛ وهو الطريق الذي سار فيه الأنبياء وتقدّموا فيه بجهدٍ ومشقّة» (خامنه‌ای، ١٣٩٦/٨/١٨). إنّ هذه الاستقامة ينبغي أن تتحوّل إلى ثقافةٍ عامّة، بحيث يسير

جميع أفراد الأمّة في طريق بناء الحضارة. ففي سورة هود يقول الله تعالى لنبيّه: «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا» (هود، ١١٢) وقد وردت رواية عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «شيّبتني سورة هود»؛ أي أنّ سورة هود قدجعلتني أشيب لما تحمله من ثقلٍ عظيم. وأين موضع هذا الثقل؟ نُقل أنّ المراد هو هذه الآية: «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» ولماذا تُشيّب النبيّ؟ لأنّها تأمره بأن يثبت في هذا الطريق، وأن يصبر ويصمد كما أُمر، وهذا بحدّ ذاته أمرٌ عسير. ولكن الأهمّ ـ كما يرى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية ـ هو الجملة التالية: «وَمَن تَابَ مَعَكَ» فالنبيّ ليس مأموراً بالاستقامة وحده، بل عليه أن يُلزم الجماهير العظيمة من المؤمنين بالصمود والمثابرة في هذا الطريق أيضاً (خامنه‌ای، ٦/ ١/ ١٣٨٥). وهذه الاستراتيجية تُحصّن المجتمع ضدّ الضغوط الخارجيّة، وتضمن استمرار الحركة في الطريق الصعب لبناء الحضارة الإسلامية.

٦-٣. إصلاح نمط الحياة

في نظر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، البُعد الأساسي للحضارة هو «نمط الحياة» (خامنه‌ای، ٢٣/ ٧/ ١٣٩١). فإذا كان العلم والصناعة والاقتصاد تشكّل الأجهزة الصلبة للحضارة، فإنّ السلوكيات والعلاقات الاجتماعية هي التي تشكّل الهوية والروح الحقيقية لها. وقد استند سماحته في إصلاح هذا الجانب الأساسي إلى المبادئ القرآنية، ويجد جذور نمط الحياة الإسلامي السليم في الآيات التي تؤكد على التعاون والوحدة والتضامن الاجتماعي.

وقد طرح سماحته أسئلةً أساسيّة حول الآفات الاجتماعيّة مثل ضعف العمل الجماعي، والطلاق، والاستهلاك المفرط، ومخالفة القانون، ثمّ أشار إلى الأسس القرآنيّة لهذه السلوكيّات قائلاً: «مع أنّ الغربيّين سجّلوا العمل الجماعي باسمهم، فإنّ الإسلام قد قال هذا قبلهم بكثير: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى»

(المائدة، ٢)، أو: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران، ١٠٣) حتى الاعتصام بحبل الله يجب أن يكون جماعيًا (خامنه‌ای، ٢٣/ ٧/ ١٣٩١). إنّ هذا الاستناد إلى الآيات في باب إصلاح نمط الحياة يحمل رسائل مهمّة: أوّلاً: التنبيه إلى الجذور القرآنيّة لإصلاح نمط الحياة. فالكثير من مشكلات نمط الحياة تعود إلى ضعف ثقافة العمل الجماعي والتضامن الاجتماعي. وقد أسّس القرآن الكريم قاعدة المجتمع السليم ونمط الحياة القائم على التعاون والوحدة بقوله: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى» (المائدة، ٢)، أو: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران، ١٠٣).

ثانياً: إنّ إصلاح نمط الحياة ليس مشروعاً حكوميّاً أو أمراً إداريّاً، بل يحتاج إلى «بناء ثقافة» عميقٍ وشامل. وهذا هو المجال الذي ـ بحسب تعبير المرشد الأعلى للثورة الإسلامية ـ لم يكن تقدّمنا فيه ملحوظاً، وهو بحاجةٍ إلى جهود النخب والشباب (خامنه‌ای، ٢٣/ ٧/ ١٣٩١). ثالثاً: يؤكّد سماحته أنّ الإسلام «قد حدّد لنا أسس هذه الثقافة. وهذه الأسس هي العقلانيّة، والأخلاق، والحقوق؛ وقد وضعها الإسلام بين أيدينا. فإذا لم نتناول هذه المقوّمات بجدّية، فلن يتحقّق التقدّم الإسلامي، ولن تتشكّل الحضارة الإسلامية الحديثة» (خامنه‌ای، ٢٣/ ٧/ ١٣٩١).

إنّ جميع الاستراتيجيات السابقة، من جهاد التبيين إلى المقاومة، تشكّل في الواقع أرضيّةً وتمهيداً لتحقيق الهدف النهائي: بناء مجتمعٍ إسلاميّ ذي هويّةٍ وثقافةٍ متميّزة. ففي نظر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، النصّ الأساسي والأداة الناعمة للحضارة هو «نمط الحياة». فإذا كان العلم والصناعة والاقتصاد هي الأجهزة الصلبة للحضارة، فإنّ السلوكيات والأخلاق والعلاقات الاجتماعية هي التي تُشكّل روحها وهويّتها. وقد استند سماحته في إصلاح هذا الجانب الأساسي إلى المبادئ القرآنية، ويجد جذور نمط الحياة الإسلامي السليم في الآيات التي

تؤكد على التعاون والوحدة والتضامن الاجتماعي فقال: «مع أنّ الغربيّين سجّلوا العمل الجماعي باسمهم، فإنّ الإسلام قد قال هذا قبلهم بكثير: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى» (المائدة، ٢)، أو: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران، ١٠٣) حتى الاعتصام بحبل الله يجب أن يكون جماعياً (خامنه‌ای، ٢٣/ ٧/ ١٣٩١).

إنّ هذه الاستراتيجية تمثّل جهاداً ثقافيّاً عميقاً وشاملاً، يهدف إلى تطبيق أسس ثقافة الحياة الإسلامية، أي «العقلانيّة، والأخلاق، والحقوق» في جميع شؤون المجتمع. فإصلاح نمط الحياة، بوصفه الاستراتيجية الأخيرة، يعني ملء مضمون الحضارة الإسلامية؛ ذلك المضمون الذي إذا تشكّل على الوجه الصحيح، فإنّ التقدم في الأجهزة الصلبة سيكون أيضًا على المسار الصحيح وسيؤدّي إلى السعادة الحقيقية للبشرية.

النتيجة

سعى البحث الذي أُجري في هذه المقالة إلى إظهار أنّ فكرة «الحضارة الإسلامية الحديثة» في المنظومة الفكريّة للمرشد الآعلى للثورة الإسلامية، سماحة آية الله الخامنئي، ليست مجرّد طموحٍ سياسيّ أو نظريّةٍ متأثّرةٍ بالمذاهب البشريّة، بل هي نظامٌ فكريٌّ شاملٌ، متماسك، وذاتيّ، يستمدّ أسسه وخارطة طريقه مباشرةً من القرآن الكريم وسنّة المعصومين عليهم السلام. وقد أثبتت نتائج هذا البحث هذه الدعوى الرئيسة، وبيّنت أنّ كلّ جزءٍ من هذه المنظومة، من أعمق الطبقات النظريّة إلى أكثر الاستراتيجيات العمليّة تطبيقاً، يرتبط بنصٍّ دينيّ واحدٍ أو أكثر.

في الفصل الأوّل تبيّن أنّ أسس هذه الفكرة مرتكزة على قواعد توفّر رؤية كونية متكاملة .فقد أثبت الأساس الوجودي لمبدأ «التوحيد» يُثبت السيادة المطلقة لله تعالى على التكوين والتشريع، وينفي أيّ سيادةٍ للطاغوت. هذا المبدأ يؤدي بالضرورة إلى فلسفة تاريخية قائمة على صراع الحق والباطل، حيث تكون

نصرة جبهة الحق مشروطة بالجهد الصادق والمجاهد.والمجتمع الذي يسير في هذا السياق التاريخي مبني على أسس اجتماعية قائمة على «الأخوّة، والولاية، والزوجيّة»، فيبتعد عن التناقضات الداخليّة التي تعصف بالمجتمعات المادّية. وفي النهاية، فإنّ غاية هذا النظام هي تحقيق «الأنثروبولوجيا القرآنيّة»؛ أي تربية وتكثير «الإنسان الصالح» بوصفه خليفة الله تعالى، الذي تكمن مهمته في الإصلاح والإعمار.

في الفصل الثاني، تمّ توضيح المبادئ والقوانين الحاكمة على هذه الحركة. وقد أظهرت هذه المبادئ أنّ بناء الحضارة هو عمليّةٌ قانونيّةٌ منظّمة. فـ «مبدأ الأمل» المستمد من الوعد الإلهي الذي لا يُخلف في آية الاستخلاف، يمثّل القوّة الدافعة لهذه الحركة. و«مبدأ الفرصة التاريخيّة» المستمدّ من سنّة «تداول الأيّام» يُبرز ضرورة هذه الحركة وإلحاحها في عصر أفول الحضارة الغربيّة. أمّا «مبدأ النُصرة المشروطة»، فيُعرّف قانون الانتصار على أساس العمل ونصرة المؤمنين. وفي النهاية، فإنّ «مبدأ محوريّة الأمّة» بالاستناد إلى قوله تعالى: «وَ بِالمُؤمِنين»، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام، يُقدّم «الشعب» بوصفه العامل الرئيس والشرط اللازم لتحقيق هذه الحضارة، ويُؤسّس لقاعدة نظريّة « السيادة الشعبية الدينية».

وأخيراً، في الفصل الثالث، تم رسم خارطة الطريق العملية لهذا المسار في إطار استراتيجياتٍ متسقة ومتسلسلة. يبدأ هذا المسار بـ «جهاد التبيين» الذي يقوم به الخواصّ من أجل التنوير ومواجهة الحرب الناعمة. ويؤدّي هذا التنوير إلى «اليقظة الإسلامية» على مستوى الجماهير. ولكي تصبح الأمّة اليقِظة قويّةً، فهي بحاجةٍ إلى «الوحدة الإسلامية»، وهذه الوحدة تكتسب هويّتها من خلال «البراءة من المشركين» ورسم الحدود مع جبهة الباطل. وهذه الأمّة المتّحدة وذات الهوية، لكي تواصل مسيرتها في مواجهة الضغوط، تتمسّك باستراتيجية «المقاومة» والصمود (الثبات). وكل هذه الجهود تتّجه في النهاية نحو الهدف

الأسمى، وهو «إصلاح نمط الحياة الإسلامي» باعتباره روح الحضارة وأداتها الناعمة.

وفي الختام، يمكن القول إنّ «الحضارة الإسلامية الحديثة» في فكر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية هي مشروعٌ متعدّد الأبعاد وعميق الجذور القرآنيّة. فهذا الفكر يرسم مساراً متواصلًا، من الوجودية إلى الاستراتيجية، ومن الإيمان إلى السياسة، ومن تربية الفرد إلى بناء المجتمع، كلّ ذلك على أساس هداية الوحي. ويقدّم هذا المشروع بديلاً عن الحضارة المادّية الغربيّة، متجذراً في التوحيد، وكرامة الإنسان، والعدالة الاجتماعيّة، والأمل بالمستقبل الذي وعد الله به الصالحين. وفي النهاية، فإنّ هذه المنظومة الفكريّة هي دعوةٌ لتحويل القرآن من كتابٍ للتلاوة فحسب، إلى دستورٍ حضاريٍّ حيّ، ديناميكي، ومتقدّم.

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

المصادر

* القرآن کریم

** نهج البلاغه

۱. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۲ش). طرح کلی اندیشه اسلامی در قرآن. تهران: انتشارات صهبا

۲. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳٦٥/۱۰/۱۹). خطبه‌های نماز جمعه تهران. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/21488

۳. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳٦۷/۸/٦). بیانات در خطبه‌های نمازجمعه. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/3760

٤. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳٦۹/۱۰/۱۰). بیانات در دیدار فرماندهان و جمعی از پاسداران کمیته‌های انقلاب اسلامی. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/2400

٥. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۷۷/۱/۲۷). بیانات در دیدار کارگزاران نظام. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/2882

٦. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۷۷/۱۰/٤). بیانات در خطبه‌های نمازجمعه. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/2922

۷. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۸۰/۱۱/۳۰). پیام به کنگره عظیم حج. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/3109

۸. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۸٥/۱/٦). بیانات در دیدار بسیجیان. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/3334

۹. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۸٦/۹/۲۷). پیام به کنگره عظیم حج. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/277

۱۰. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۸۷/۹/۱۷). پیام به کنگره عظیم حج. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/4821
۱۱. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۸۹/٤/۱۹). بیانات در دیدار مسئولان نظام در روز عید مبعث. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/12834
۱۲. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۱/٥/۲۲). بیانات در دیدار اساتید دانشگاه‌ها. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/20722
۱۳. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۱/۷/۲۳). بیانات در دیدار جوانان خراسان شمالی. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/21252
۱٤. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۱/۹/۲۱). بیانات در دیدار شرکت‌کنندگان در اجلاس جهانی اساتید دانشگاه‌های جهان اسلام و بیداری اسلامی. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/21741
۱٥. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۳/٤/۸). بیانات در محفل انس با قرآن. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/26828
۱٦. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹٤/۱۰/۸). بیانات در دیدار مسئولان نظام و میهمانان کنفرانس وحدت اسلامی. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/31770
۱۷. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹٥/۲/۱٦). بیانات در دیدار مسئولان نظام و سفرای کشورهای اسلامی. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/33011
۱۸. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹٥/۳/۳). بیانات در دانشگاه افسری و تربیت پاسداری امام حسین علیه‌السلام. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/33172
۱۹. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹٦/۸/۱۸). بیانات در جمع هیئت‌های دانشجویی در روز اربعین حسینی. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/38140
۲۰. خامنه‌ای، سیدعلی. (۲٥ /۱/ ۱۳۹۷). بیانات در دیدار مسئولان نظام و سفرای کشورهای اسلامی. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/39394

۲۱. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۸/۱/۱٤). بیانات در دیدار مسئولان نظام و سفرای کشورهای اسلامی. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/42152

۲۲. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۸/۳/۱). بیانات در دیدار جمعی از دانشجویان. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/42633

۲۳. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۸/۱۱/۱٤). بیانات در ابتدای جلسه درس خارج فقه. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/44875

۲٤. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۹/۳/۱٤). سخنرانی تلویزیونی به مناسبت سی‌ویکمین سالگرد رحلت امام خمینی‌ﷺ. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/45814

۲۵. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۹/۵/۷). پیام به مناسبت فرارسیدن ایام حج. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/46127

۲٦. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱۳۹۹/۱۲/۲۱). بیانات در سخنرانی تلویزیونی به مناسبت عید مبعث. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/47510

۲۷. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱٤۰۱/۱۰/۱٤). بیانات در دیدار اقشار مختلف بانوان. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/51655

۲۸. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱٤۰۲/۲/۲۷). بیانات در دیدار کارگزاران حج. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/52837

۲۹. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱٤۰۲/۱۱/۱٦). بیانات در دیدار فرماندهان نیروی هوایی و پدافند هوایی ارتش. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/55160

۳۰. خامنه‌ای، سیدعلی. (۱٤۰۳/۷/۱۳). خطبه‌های نماز جمعه تهران. قابل دسترس در: https://khl.ink/f/57807